مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 11، العدد4، (السداسي الثاني 2019)
ص.75 – 108

الجدل الديني بالأندلس ودوره في تأسيس علم مقارنة الأديان

The religious controversy in Andalusia and its role in establishing the science of comparative religions

لينـدة بوعافية*

جامعة باتنة، معهد العلوم الاجتماعية والإسلامية –الجزائر، huda_lynda@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/01/14 **تاريخ القبول: 092019/18**

ملخص:

جاء هذا البحث لتسليط الضوء على حقبة زمنية مهمة من تاريخ الحضارة الإسلامية؛ وهو "تاريخ الأندلس" الذي شهد مظهرا ملفتا من مظاهر التسامح الديني والذي لم يُعرف له مثيل عبر التاريخ الإنساني، هذا التسامح الذي هيأ أجواء الإبداع الفكري الجدلي النقدي لدى مسلمي الأندلس، ومن ثم نشأة علم جديد ألا وهو(علم مقارنة الأديان). كما جاء البحث للكشف عن البراعة المنطقية لعلماء الأندلس في الدفاع عن الإسلام، وردّ مطاعن أعدائه. إن دراسة جدل المسلمين لأهل الكتاب بالأندلس أيضا يكشف عن الدور الجليل الذي لعبه علماء الأندلس؛ وتعدّ مساهمتهم في تأصيل وتعميق الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي مساهمة مهمة؛ بحيث أنّنا إذا أخرجنا هذه المساهمة من نسيج التاريخ الثقافي الإسلامي لأحدثنا خروقا يعُزّ سدّها بغير تصانيفهم المهمة. وفي الأخير أمل يحذونا في إحياء علم مقارنة الأديان لتعود السيادة الفكرية مرّة أخرى لأصحابها.

الكلمات المفتاحية: الجدل؛ الدين؛ المقارنة؛ أهل الكتاب؛ الأندلس.

*المؤلف المرسل

Abstract:

This study aims to shed light on an important time period in the Islamic civilisation history ;it is the Andalusia history which was characterized by an unprecedented relegious tolerance rarely found in history.This tolerance had provided an environement conductive to an itellectual dialectic critical creation among Andalussian Muslims, therefore, a new science is created; it was « the comparative religion ».

We attempt also – in this study – to show the logical ingenuity of the Andalussian scholars in their defending Islam and responding its enemies.

Studying the debates – were taking place between Muslims and Jewish and Christian- shows the great interesting role played by Andalussian scholars in deepening and consolidating the Islamic culture.

Finally we hope to revival the comparative religion in order to restorate the intellectual sovereignty to its owners.

Keywords: Controversy; Religion; Comparison; People of the Book (Christians and Jewry); Andalus.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم وبعد:

شكّلت الأندلس قِبلة المسلمين بعد فتحها، وكانت معبرا عبرت عليه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا[1]، والتقى على أرضها الشرق والغرب، فتهيأت فرصة الاحتكاك الثقافي بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام، اليهودية، والمسيحية). وكان من أهم مظاهر ذلك الاحتكاك والتفاعل الحضاري ما يسمى بـ "الجدل الديني"، الذي شكّل قاعدة لظهور الدراسات الدينية بالأندلس أو ما يسمى ب(علم مقارنة الأديان).

[1] عبادة كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، (القاهرة: د.د.ن، د.ط، 1414هـ/1993م)، ص. 252.

ويُعدّ هذا العلم تراثا إسلاميا، بل من أخصب العلوم التي أنتجها العقل المسلم أيام مجده في الأندلس. إلا أن نجمه خبا مع أفول نجم الحضارة الإسلامية بسقوط الأندلس على يد القوى الصليبية الأوروبية، فاندثر مع اندثارها[1]، وانتقلت الدفّة للغرب، الذي انكبّ علماؤه على مدارسته، ينهلون منه، ويستفيدون من تجارب علمائه، منكرين فضل أصحابه، ومحاولين تناسي نسبته الإسلامية، فعدّوه علما غربيا بكل المقاييس، ووضعوا له مناهج تتّفق وميولاتهم وغاياتهم.

وعليه: فالبحث ينطلق من إشكالية أساسية هي: هل للجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس دور في تأسيس علم مقارنة الأديان؟ ما هي أهم إسهامات علماء الأندلس في هذا الحقل المعرفي؟.

[1] أنطونيو دومينقير هورتز، وبرنارد بنثنت. **تاريخ مسلمي الأندلس (الموريسيكيون)**، ترجمة: عبد العال صالح طه، (قطر: دار الإشراق، ط1، 1408هـ/1988م)، ص.3.

أولا: علم مقارنة الأديان، وتاريخه في الفكر الإسلامي:

1- تعريف مقارنة الأديان: مصطلح "مقارنة الأديان" مصطلح مركّب من شقّين: "**الدّين**"، و"**المقارنة**":

أما الدّين: فقد أدلى كثير من العلماء، والباحثين دلوهم فيه. وما نلحظه على اختلاف تلك التعاريف، وتشعّبها الصعوبة التي لاقاها هؤلاء في صياغة تعريف جامع، مانع لماهية الدين. لكن جملة القول في هذه المعاني اللغوية كما يرى محمد دراز: «أن هذه الكلمة تشير إلى علاقة بين طرفين، يُعظّم أحدهما الآخر. إذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا. وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا، وسلطانا، وحكما، وإلزاما. وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظّم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها.»[1]

أما اصطلاحا، فقد اختلفت التعريفات بين المسلمين، والغربيين[2]. أما التعريف التّام لماهية الدين بإجماع العلماء هو: «الاعتقاد بوجود ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبر للشؤون التي تعني الإنسان. اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد»[3].

أما كلمة "الدين" التي تستعمل في تاريخ الأديان، فلها معنيين فقط كما يرى محمد دراز أيضا؛ «فأما الأول: فهو يعني تلك الحالة النفسية التي نسميها "تدين". أما الثاني: فهو تلك الحقيقة الخارجية أو الآثار الخالدة التي يمكن الرجوع إليها في المبادئ التي تدين بها أمّة من الأمم اعتقادا وعملا»[4].

---

[1] محمد دراز. **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، (الكويت: دار القلم، دط، 1980م)، ص.31.

[2] أحمد عبد الرحيم السايح. **بحوث في مقارنة الأديان**، (الدوحة: دار الثقافة، دط، دت)، ص.20 وما بعدها.

[3] دراز. **الدين**، مرجع سابق، ص.52.

[4] المرجع السابق، ص.52.

أما المصطلح الثاني، فهو: المقارنة. وتعني هذه الأخيرة: « رصد الظواهر، وتسجيل القضايا، والأفكار التي تتعلّق بعنصر من العناصر الموجودة في دينين أو أكثر»[1].

وبجمع المركّب يظهر لنا مصطلح "علم مقارنة الأديان" الذي يُعرّف بأنه اتخاذ «الأديان عامة –كتابية ووضعية– والعقائد الدينية أو الملل والنحل موضوعا للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها خصائصها، وضوابطها التي اصطلح عليها أهل هذا الحقل»[2]. وهو أيضا علم «يدرس خصائص، ومميزات كل دين، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى»[3]. وتُعرّف الدراسات الدينية المقارنة أيضا بالنظر إلى موضوعها بأنها «تتضمن رصد، وتسجيل الظواهر، والقضايا الدينية في ديانتين أو أكثر، وتصنيفها، وتبويبها، وبيان العلاقة بينها وبين غيرها من العناصر»[4]. والجدير بالذكر أن دراسة الدين في الفكر المعاصر أصبحت تشكل مجال اهتمام علوم اجتماعية، وإنسانية مختلفة، كل ينهل من منظار اختصاصه، كعلم الاجتماع الديني، وعلم الأنثربولوجيا الدينية، وعلم النفس الديني...إلخ، كل هذه العلوم اجتمعت فيما بينها لتعطينا معرفة شمولية بالدين[5]، وأضحت مقاييس لمقارنة الأديان[6].

ولقد انقسم الباحثون في تمييزهم بين مقارنة الأديان، وتاريخ الأديان إلى رأيين:

---

[1] إبراهيم محمد تركي. **علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام**، (مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م)، ص.22.

[2] تعريف علم مقارنة الأديان: www.Almoqatel.org

[3] السايح. **بحوث في مقارنة الأديان**، مرجع سابق، ص.10.

[4] تركي. **علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام**، مرجع سابق، ص.23.

[5] فرحات عبد الحكيم. "منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، (رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م)، ص.7.

[6] بخوش عبد القادر."علم مقارنة الأديان بين التأصيل والترغيب"، **مجلة الإحياء**،ع.11، (1428هـ– 2007م)، ص.168.

الرأي الأول:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن لا تغاير، ولا فرق بين مقارنة الأديان وتاريخ الأديان. ومن هؤلاء البروفيسور إسماعيل راجي الفاروقي[1]؛ وهو من علماء العصر الحديث المجددين لعلم مقارنة الأديان. يرى هذا الأخير أن تاريخ الأديان علم يقوم بثلاث وظائف:

وظيفة العرض: وذلك من خلال عرض الدين، ومحاولة فهمه كما فهمه أتباعه. والموضوعية هنا تتأكد باعتراف أتباع الدين المدروس بصحة طرح المؤرخ ونتائجه[2]

وظيفة المقارنة: وتعني دراسة عناصر الاشتباه والاختلاف بين الدين المدروس وبين العقائد الأخرى. وهنا يتجلّى موقف الفاروقي حين عدّ علم مقارنة الأديان هو نفسه علم تاريخ الأديان؛ لأن كليهما يمسك القضايا الدينية، يشرحها، ويبرز عناصرها، ويؤرخ لها، ويقارن بينها[3].

وظيفة النقد: والنقد عنده مطلب لا غنى عنه، وضرورة لا مفرّ منها[4]، فكل من تاريخ تاريخ الأديان ومقارنة الأديان يسعى لنفس الهدف[5]. ليصل الفاروقي بعد هذا التحليل إلى نتيجة مفادها أن لا حاجة للتفريق بين تاريخ الأديان ومقارنة الأديان؛ لأن كليهما يعتمد المقارنة بين الظواهر الدينية[6]. وقد أيّده الرأي أحمد شلبي حين عدّهما يؤديان نفس الغرض[7].
الغرض[7].

[1] -إسماعيل راجي الفاروقي(1921-1986م): مفكر إسلامي متخصص في الدراسات الدينية المقارنة. من مؤلفاته: كتاب "أصول الصهيونية في الدين اليهودي"، "الملل المعاصرة في الدين اليهودي"، "الأخلاق المسيحية". للتوسع انظر: بوعافية ليندة. "منهج الفاروقي في دراسة اليهودية"، (رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2010م).

[2] - Al-faruqi, Isma'il ragi. *Christian ethics-a historical and systematic analysis of its dominant ideas-*. Montreal, DC :Mcgill University Press, 1967.p18.

[3] - Ibid, p19.

[4] - Ibid,p21.

[5] أحمد شلبي. **مقارنة الأديان(اليهودية)**، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط8، 1988م)، ص.32.

[6] بوعافية. "منهج الفاروقي في دراسة اليهودية"، مرجع سابق، ص.66-68.

[7] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.31.

الرأي الثاني:

وهو اتجاه يرى تغايرا واضحا بين المصطلحين[1]، لكنّهما ينضويان تحت مصطلح "علم الدين "Science of religion"[2]؛ لأن الاتجاه السائد الآن في دراسة الأديان هو محاولة جعل هذا الموضوع علما شاملا لجميع الأديان، يدرس تاريخها، وبنيتها، ووظيفتها، ويكشف عن دلالاتها الثقافية، مستفيدا في ذلك من كل التخصصات السابقة الذكر[3]. ومن مناصري هذا الرأي إبراهيم تركي الذي يرى أن "علم الدين" ينقسم إلى قسمين: أحدهما هو تاريخ الأديان، والآخر هو مقارنة الأديان[4].

فتاريخ الأديان: يتناول دراسة نمو وتطور الأديان التاريخية؛ حيث يكون محور الدراسة متمركزا حول مراحل هذا تطورها، مع محاولة تفسير صلة هذه المراحل بالعقيدة الأصلية. كما يتناول بحث التطور النفسي لمجتمعات دينية خاصة. بالإضافة إلى دراسة المسائل الخاصة بالعقيدة، سواء ما يتعلق منها بمؤسسي هذه الأديان أو ما يتعلق بالممارسات التعبدية التي تسمى شعائر[5].

أما **علم مقارنة الأديان:** فيكون الاهتمام فيه مرتكزا في المقام الأول حول دراسة وتحليل أنواع مختلفة من التجارب الدينية؛ من حيث أصولها النظرية، وممارستها الواقعية؛ وذلك عن طريق المقارنة بين الأديان محل الدراسة؛ بحيث يمكن القول إن الهدف الأساسي من الدراسة في هذا المجال إنما يتمثل أساسا في معرفة التطورات النمطية، والسمات المميزة، والقوانين المتّبعة التي تحكم التجربة الدينية بمختلف جوانبها[6]. وهو نفس الرأي الذي تبنّاه خالد السيوطي[7].

---

[1] شايب لخضر."مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة"، **مجلة الإحياء**، ع.1، (1419هـ/1998م)، ص.124-125.

[2] فرحات عبد الحكيم. "منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، مرجع سابق، .ص7.

[3] المرجع السابق، ص.7.

[4] تركي. **علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام**، مرجع سابق، ص.12.

[5] المرجع السابق، ص.12.

[6] المرجع السابق، ص.12.

[7] خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص8.

2- تاريخ علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي:

"مقارنة الأديان" مصطلح لم يوظّفه العلماء المقارنون إلا حديثا. أما مادته العلمية فقد كانت مبثوثة في التراث الإسلامي تحت مسميات متعددة، نذكر منها: "علم الملل والنحل"، "علم الكلام"، "علم مقالات غير الإسلاميين"، "علم الردود على الأديان"[1]. وإن كانت التسمية الأولى أشمل لسببين: الأول: أن مصطلح "الملل والنحل" مصطلح يجمع بين دراسة الأديان، ودراسة الفرق الإسلامية[2]. أما الثاني: فيؤكد سمة من سمات الإسلام السمحة؛ وهي الانفتاح على أتباع الملل الأخرى. ومهما يكن، فاختلاف التسميات لا يغيّر موضوع هذا العلم بأي وجه من الوجوه، باعتباره مجموعة من المعارف التي تدور حول موضوع معين؛ وهو الأديان[3].

وفي صدد حديثنا عن تاريخ هذا العلم واجهتنا إشكالية ادعاء الغرب السبق التاريخي في إيجاد هذا العلم، ونسبوه إليهم عدوانا وظلما، متناسين جهود علمائنا المسلمين، والدور الذي لعبه هؤلاء في إحداث هذه النقلة النوعية في مجال الإبداع المعرفي في الدراسات الدينية المقارنة. إرتأينا بحث الموضوع بغرض الوصول إلى القول الفصل؛ وهو بيان الأسبقية التاريخية لعلماء الإسلام في خوض غمار البحث المقارن، وتأكيد على أن ما وصل إليه علماء الغرب في هذا المجال ما هو إلا تأثر بما جادت به قرائح المسلمين. كيف لا وقد توفرت لديهم كل العوامل لدراسة الأديان ونقدها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كان هناك اهتمام بالأديان قبل مجيء الإسلام؟

---

[1] فرحات عبد الحكيم. "أسس المنهج الإسلامي في دراسة الأديان"، **مجلة الإحياء**، ع.2، (2001م)، ص.86. وعدنان المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1429هـ/2008م)، ص.15.

[2] فرحات. "منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، مرجع سابق، ص.7.

[3] تركي. **علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام**، مرجع سابق، ص.24.

والجواب بالنفي؛ لأن كل الدراسات تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن البحث في عقائد وتشريعات الأمم المخالفة كان منعدما في الفكر الديني الإنساني القديم؛ ويعود ذلك إلى أن كل ديانة من الديانات القائمة آنذاك كانت تنظر إلى عقائد المخالفين لها باعتبارها هرطقات أو بدعا[1]. وهذه حقيقة ثابتة، لا سبيل لإنكارها لوجود ما يدلّ عليها في التاريخ الإنساني، وتُثبتها كتبهم المقدسة. والسبب في ذلك يعود إلى التعصب التي اتّسمت به معظم تلك الأديان. ومثال ذلك نظرة اليهود للمسيحيين، بل لكلّ المخالفين لهم، باعتبارهم كفارا[2]. وموقف اليهودية من المسيح، الذي اعتبرته ثائرا عليها، فاستباحت دمه[3]. أما المسيحية فقد اعتبرت نفسها وريثة لليهودية، وشقّت طريقا مخالفا لها من الناحية العقدية والتشريعية، بل سعت للقضاء على الوجود اليهودي[4] من بكرة أبيه، ولم يكن موقفها التعصبي من الإسلام في الأندلس بعيدا عن ذلك[5]. ويؤكد المؤرخ شارب (E.Sharp) هذه الحقيقة بقوله: « إن الانغلاق الصارم والتعصب كانا وراء الاعتقاد بأن أي دراسة للأديان الأخرى لن تقود إلا إلى التناقض خاصة مع المسيحية»[6]. ومن أشهر المعارضين الأوائل للنحل المنافسة للمسيحية القديس أوغسطين (St. Augustin)[7].

واستمر هذا الطابع الجدلي للعقائد هجوما ودفاعا وهدما وبناء لا بين المسيحية وغيرها فحسب، بل بين المذاهب المسيحية نفسها، وكان الهدف من ذلك التماس مواطن الضعف في عقيدة الخصم لإبطالها، وإبراز ناحية من نواحي القوة في عقيدته للانتصار لها[8].

---

[1] شايب لخضر. "مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة"، مرجع سابق، ص.123.

[2] شارل جنيبر. **المسيحية نشأتها وتطورها**، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، دط، دت)، ص.72.

[3] محمد الهواري. **الجدل اليهودي ضد المسيحية**، (القاهرة: دار الزهراء للنشر، 1415هـ/1993م)، ص.7 وما بعدها.

[4] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.24.

[5] المرجع السابق، ص24. للتوسع انظر: علي ظهير. **محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها**، (مصر: المكتبة العلمية، دط،1947م).

[6] تعريف علم مقارنة الأديان.www.Almoqatel.org

[7] دراز. **الدين**، مرجع سابق، ص.19.

[8] المرجع السابق، ص.19.

وكان هذا الاتجاه السائد آنذاك. لذا لم يُعرف في أوساط اليهود، ولا النصارى أي اهتمام بأديان الأمم الأخرى؛ لأن المقارنة تقتضي التعدد، والتعدد كما لاحظنا كان مرفوضا، حين طغى الأنا الواحد، وصار سائدا، ومستحكما.

وفي ظل هذا الموقف الرافض للآخر الذي نهجه اليهود والنصارى. وبينما كان الحديث عن الأديان في العصور السابقة إما مغمورا في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة، وإما مدفوعا في تيار البحوث النفسية أو الفلسفية أو الجدلية[1] جاء الإسلام حاملا موقفه المنفتح على الآخر، ومشجعا على الاحتكاك بأتباع الأديان الأخرى، والفضل يعود للقرآن الكريم الذي أعطى الإرهاص الحقيقي، والإشارات المتكررة لمعرفة الأديان الأخرى ومقارنتها بغيرها، بمنهجية محكمة. كيف لا يكون كذلك وثلث القرآن الكريم تقريبا يشتمل على قصص حول الأديان الأخرى[2]. هذه الإشارات التي حفّزت العقل المسلم وشجعته على قبول الآخر، ومحاورته مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل، 125]. فالفضل يعود إذن للقرآن الكريم في وضع أسس علم مقارنة الأديان[3]، وتوضيح المنهج الذي يوصل إلى الحق مبيّنا منهج مجادلة أهل الكتاب بالعلم، وبأسس ومبادئ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[العنكبوت، 46].ف"المجادلة بالحسنى" هي مفهوم هذا العلم كما يقول أحمد شلبي[4].

أما من الناحية العملية فقد اهتم النبي ﷺ بأتباع الأديان اليهودية والمسيحية، ومحاورتهم كما تفيد كتب الحديث، والسيرة. وقد أورد ابن هشام محاورة دينية رائعة بين الرسول الكريم

---

[1] المرجع السابق، ص.21-22.

[2] محمد ضياء الرحمن الأعظمي. **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، (الرياض: دار الرشد، ط2، 1424هـ/2003م)، ص.16.

[3] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.24-25.

[4] المرجع السابق، ص.24-25.

وبين عُدّي بن حاتم الطائي الذي اعتنق المسيحية، وانتهت بإسلامه، وقومه أيضا[1]. كما جرت مناقشات بينه وبين اليهود حول الكتب المقدسة، منهم محسور بن سبحان الذي سأل الرسول ﷺ سؤالا تعجيزيا قاصدا إفحامه: ما دليلك على أن القرآن من عند الله؟ فجاء الجواب من الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء، 82].

وعلى إثر تلك المجادلات الدينية الهادئة، والمقارنات دخل بعض قادة اليهود والنصارى الإسلام من أمثال: عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسد بن عبيد، وكثير من نصارى نجران[2]. وتعد مثل هذه المحاورات دراسة جيّدة في علم مقارنة الأديان[3]، ووجود مثل هذه المادة الخام جعلت من الطبيعي أن يهتم العلماء المسلمون بدراسة أديان الأمم، وعقائدها، وطقوسها[4].

كيف لا وقد توفّرت لديهم الأرضية الخصبة، والمشجعة للبحث في تلك الأديان.

ولما اجتمعت أسباب ظهور علم مقارنة الأديان؛ من إشارات قرآنية[5]، وانفتاح على الأديان الأخرى[6] بفضل الفتوحات، ودخول في الدين الإسلامي أفواجا، وفوق كل ذلك البعد العالمي والإنساني للدين الإسلامي كما أكّده آدم ميتز بقوله: « إن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى، كان سببا في أن يلحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو"علم مقارنة الأديان". ونشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين. ومعنى ذلك أن هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحطّ من الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية،

[1] انظر : شلبي. **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 426/1.

[2] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.26-27.

[3] المرجع السابق، ص.27.

[4] السايح. **بحوث في مقارنة الأديان**، مرجع سابق، ص.12.

[5] المرجع السابق، ص.15.

[6] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.24.

لا تعصب فيها، تؤدي إلى نتائجها الطبيعية، وبواسطة هذا العلم دخل الآلاف، والملايين في الدين الإسلامي»[1]. كل هذه الاعتبارت مهّدت الطريق للمسلمين ورسمت لهم معالم ظهور "علم مقارنة الأديان". وهكذا انكب علماء الإسلام على دراسة أديان العالم، والتنقيب عن عقائدهم، وطقوسهم؛ فوصفوها، وحلّلوها، وقارنوا بينها، وأرّخوا لها، وأخضعوها للنقد[2]. وكانوا يستمدون أوصاف كل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، يقول أحمد درّاز: «وهكذا أصبح في كتب العرب دراسة وصفية واقعية، منعزلة عن سائر العلوم والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم. فكان لهم بذلك فضل السبق في تدوينه علما مستقلا»[3]، واتخذوا له منهجا علميا سليما قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشرة قرون[4]، وعندما بدأوا منذ القرن الثاني للهجرة تدوين الفقه، والتفسير، والحديث، جعلوا لعلم لعلم مقارنة الأديان نصيبا من كتاباتهم تلك[5].

وبرز في هذا المجال رهط من العلماء المشاهير ألّفوا مصنفات تعتبر كنوزا من التراث ليس فقط الإسلامي بل العالمي. نذكر منهم: النوبختي (202هـ)، إذ يعتبر كتابه "الآراء والديانات" أول كتاب في هذا المجال. وبعده كتب المسعودي (346هـ) كتابين عن "الديانات"، ثم جاء المسبحي (420هـ) فكتب كتابه "درك البغية في وصف الأديان والعبادات". وكتاب "الملل والنحل" لأبي منصور البغدادي (429هـ)، وكتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" الذي يعدّ من أشهر المصنفات الجدلية لابن حزم الأندلسي (456هـ). وكتاب" الملل والنحل" للشهرستاني (548هـ). وأيضا كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" لأبي الريحان البيروني[6].

---

[1] المرجع السابق، ص.27.

[2] المرجع السابق، ص.24.

[3] دراز. **الدين**، مرجع سابق، ص.21-22.

[4] المرجع سابق، ص.21-22.

[5] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.24.

[6] المرجع السابق، ص.27.

وقد اعترف كثير من علماء الغرب المنصفين بأصالة علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي. فهذا العلامة بينارد دولا بولي *(H .Pinard de la bouilaye)* الذي أشاد في كتابه المسوم ب "الدراسة المقارنة للأديان" بابن حزم الأندلسي باعتباره رائد مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي. وآخر إيريك شارب *(Eric.J.Sharps)* يؤكد أن شرف كتابة أوّل تاريخ للأديان في العالم اختص به الشهرستاني الذي صنّف أديان العالم المعروفة في العالم آنذاك، اعتمادا على منهج تاريخي وعلمي دقيق[1]. وهذا فرانز روزنتال *(Franz Rossental)* يؤكد لنا «أن الغرب اليوم يعترف صراحة بأن الدراسة المقارنة للأديان تعد واحدة من الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية، أسهمت في التقدم الفكري للإنسانية، وأقرّت بذلك دائرة المعارف البريطانية»[2].ويقول آدمز متز *(Adam Metz)* أيضا: «إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوروبا التي كانت كلها على النصرانية في العصور الوسطى وجود عدد كبير من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين يتمتعون بنوع من التسامح لم يكن معروفا في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان؛ أي دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم»[3].

إذن بعد بحثنا الموضوع يمكننا أن نؤكد باطمئنان أن علم مقارنة الأديان ذو أبوّة إسلامية بلا جدال، ويتميّز بالأسبقية التاريخية عن نشأته في الفكر الغربي بقرون طوال. ولذا فالحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها أو إغفالها أن الغرب لم يعرف هذا العلم إلا مع القرن الثاني عشر الميلادي على يد إبراهيم ابن عزرا الأندلسي اليهودي[4]، كما يؤكد البحث التاريخي أنه أنه لم تظهر أي دراسة مقارنة بالمعنى الحقيقي للمصطلح من جهة، وذات قيمة علمية من جهة ثانية إلا في القرن السابع عشر بظهور اللورد هربرت تشير بري (ت1648م) ليمهّد

[1] تعريف علم مقارنة الأديان، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] محمد عبد الله الشرقاوي. **منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، (القاهرة: دط، دت)، 10.

لدراسة مقارنة الأديان بشكل علمي[1]. ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع جون لوك، سيسرون، بلوت أرخ[2]، اسبينوزا، فلهاوزن، أوتو، بوش[3]، ريشارد سيمون، وجون أستروك[4]. ومع مطلع القرن التاسع عشر أضحى علم مقارنة الأديان في الفكر الغربي حقلا علميا مستقلا[5]. لهذا يمكن التأكيد أن علم مقارنة الأديان في ثوبه الغربي علم حديث[6]. لكن مع عصر الضعف الذي ألمّ بالخلافة الإسلامية، أفل نجم علم مقارنة الأديان، واختفى[7]، لأسباب عديدة أوردها أحمد شلبي في كتابه "اليهودية" نلخصها فيما يلي:

– الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي، والتي كان القصد من ورائها تدمير الإسلام ومعتنقيه، ومن الأكيد أن الصليبيين لم يعرفوا التسامح الديني، ولا الجدال بالحسنى، و«علم مقارنة الأديان لا تقوى جذوته إلا في بيئة تؤمن بالتسامح، وتقبل الآخر، وتتعايش معه. وعلى إثر تلك الحروب خفّ صوت هذه المجادلات تحت صليل السيوف»[8].

– في عصر الضعف اتجّه أكثر فقهاء المذاهب إلى التعصب لمذاهبهم الفقهية، فقلّ أو انعدم إطلاعهم على الأديان الأخرى.

– تبني بعض المسلمين الاتجاه السائد لدى أتباع الأديان الأخرى في عدم اعترافهم بالأديان الأخرى، وبالتالي نفيهم إمكان المقارنة بين الأديان، فتأثر بعض المسلمين بهذا الاتجاه، وهاجموا هذا العلم لأن الإسلام في نظرهم لا يقارن بسواه.

---

[1] بخوش. "علم مقارنة الأديان بين التأصيل والترغيب"، مرجع سابق، ص.172.

[2] المرجع السابق، ص.172.

[3] فرحات. "منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، مرجع سابق، ص.7.

[4] كردوسي بشير، "نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر"، (رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993م)، ص.215.

[5] بخوش. "علم مقارنة الأديان بين التأصيل والترغيب"، مرجع سابق، ص.172.

[6] شايب. "مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة"، مرجع سابق، ص.125.

[7] شلبي. **اليهودية**، مرجع سابق، ص.28.

[8] المرجع السابق، ص.29.

وفي ظل هذا الضعف، وما تبعه من فتور، ولا مبالاة بهذا العلم من طرف المسلمين، شقّ الغرب طريقا آخر، وموقفا مغايرا لما تبنّوه من قَبْل، بعد تأثرهم بتلك اللقاءات الرفيعة بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، وصقلية، والتي كانت دافعهم للتعرّف على علم مقارنة الأديان، فراحوا يتعلمون أسسه، ويحاولون الانتفاع به[1]، بل جعلوه وسيلة من وسائل التبشير ونشر المسيحية[2]؛ حيث ابتدأ اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالديانات المنافسة، وطبعا وطبعا الإسلام كان على رأس قائمتها؛ وقام المسيحيون الشرقيون بدءًا بالأب يوحنا الدمشـــقي

بعرض بعض عقائد المسلمين والردّ عليها،كما قام بعض الغربيين بمثل هذا العمل خاصة في إسبانيا، لكن لم تكن الغاية الدراسة العلمية للأديان، بل الدفاع عن المسيحية[3].

وهكذا حظي هذا العلم باهتمام الغرب لقرون؛ فوظّفوه لغاياتهم، ولأهدافهم، وصبغوه بصبغتهم، وحاولوا جاهدين نسبته لهم-إلا من رحم ربي- إلى أن أطلّ العصر الحديث على المسلمين حاملا معه بصيص أمل في إحياء هذا العلم من جديد ليكون في أيدي المسلمين سلاحا في الحاضر، كما كان في الماضي. وهكذا عاد علم مقارنة الأديان للظهور في المعاهد الإسلامية، لكنه لم يبلغ بعد إلى الغاية المرجوة منه، فظهوره ما يزال يعدّ خطوة محتشمة في ظل غياب دوائر مستقلة للدراسات الدينية تعمل جنبا إلى جنب مع دوائر العلوم الاجتماعية والإنسانية.

[1] المرجع السابق، ص.29.

[2] المرجع السابق، ص.30.

[3] شايب. "مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة"، مرجع سابق، ص.124.

ثانيا: الجدل الديني بالأندلس وأهميته في تأسيس علم مقارنة الأديان:

1- معنى الجدل لغة واصطلاحا:

الجدل يطلق عند اللغويين على معان عدّة، منها: الشّد، الإحكام، الإلقاء، الإسقاط[1]، مراجعة الكلام، وذكر الحجج[2]. وقد ذُكر في القرآن الكريم بصيغ متنوعة، بلغت تسعا وعشرين صيغة، تضمّنتها سبعا وعشرين آية، انتسبت إلى ست عشرة سورة[3].

أما في اصطلاح أهل المناظرة، فقد جرى على إلزام الخصم سواء كان بحق أو باطل[4]

وبن خلدون أراد به الاستدلال والمعارضة، حين قال:

«إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره»[5].

وقد شاع على الألسن مصطلحات لصيقة بالجدل؛ كالمناظرة، النقد، والمكابرة.

أما الجدل والمناظرة فهما عند بن حزم الأندلسي مترادفان، لا فرق بينهما. والجدل عنده «إخبار كل واحد من المحققين بحجّته أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما، وقد يكون أحدهما محقّا والآخر مبطلا إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما أو معانيهما»[6]. والواضح من هذا التعريف أن بن حزم يرفض الجدال الذي تسوده الخصومة، والمنازعة بل الجدال عنده يطلق على تبادل وجهات النظر، وإيراد الأدلة، والحجج من دون منازعة، رغبة في طلب الحق والوصول إليه[7].

---

[1] الراغب الأصبهاني. **المفردات في غريب القرآن**. (اسطنبول: دار قهرمان، دط، 1986م)، ص.123.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص.433.

[3] بركات محمد مراد. **منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي**، (القاهرة: الصدر ، ط1، 1990م)، ص.15.

[4] علي بن أحمد بن حزم. **الإحكام في أصول الأحكام**، ج2، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405ه)، ص.20.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون. **المقدمة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413ه)، ص.362.

[6] بركات. **منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص.195.

[7] المرجع السابق، ص.195.

وهذا ما ذهب إليه الإمام الجويني أيضا[1]. في حين يرى محمد أبو زهرة أن بينهما اختلافا واضحا في الاصطلاح. فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه. أما الجدل فيكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال. أما المكابرة فلا يكون الغرض منها إلزام الخصم، لا الوصول للحق، بل اجتياز المجلس، والشهرة، أو مطلق اللجاجة، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلا[2]. وهناك من يرى وجود فرق بين النقد والجدل[3]، برغم اعتقادي أن لا فرق بينهما. بدليل أن للنقد والجدل وجهان وهما يلتقيان في جانبهما السلبي فيما يسمى"بالعنف الجدلي"؛ وهو الجدل المذموم، والمرفوض؛ لأنه يُعنى بالنقاط الخلافية أساسا لا بالبحث عن معرفة متكاملة، ومتفهمة للآخر، وهو المعنى الخصامي للجدل الذي حذّر منه القرآن الكريم، ومن مزالقه الأخلاقية[4].

أما الجانب الإيجابي لكليهما؛ إذا اعتبرنا النقد المتّزن ذلك الذي ينظر إلى نقاط الاختلاف، ولا يُهمل نقاط الاشتراك. واعتبرنا الجدل الممدوح الذي أوجبه القرآن الكريم، وسلكه الأنبياء الكرام مع أقوامهم في سبيل نشر ما كلّفوا به من دعوات، ورسالات، وخاصة ما كانوا يقومون به من مناظرات، ومحاورات، يعرضون فيها ما تيسّر لهم من بيّنات، وما توفّر لديهم من مؤيدات، ويردون فيها على ما يلاقونه من مواجهات إظهارا للحق. وهما بهذا المعنى الإيجابي لا غنى عنهما في الدرس الديني المقارن. والجدل أو النقد أيضا ما كان ب"التي هي أحسن"، بعد إقامة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وهذه الأساليب الثلاثة؛ أي: "الدعوة بالحكمة"، "الموعظة الحسنة"، و"الجدل بالتي هي أحسن" هي أحسن الأساليب التي اقتضتها الدعوة القرآنية، والتي أثمرت عمليا إنتاجا فكريا يُضرب به المثل في علم مقارنة

---

[1] الجويني أبو المعالي. **الكافية في الجدل**، تقديم: دفوقية حسين محمود، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، 1399هـ/1979م)، ص.529.

[2] محمد أبو زهرة. **تاريخ الجدل**، (الكويت: دار الفكر العربي، ط2، 1980م)، ص.5.

[3] عدنان المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، مرجع سابق، ص17.

[4] المرجع السابق، ص.17.

الأديان. وقد كانت الأندلس أهمّ البلدان التي شهدت مناظرات ومحاورات بين المسلمين وأهل الكتاب التزم فيها علماؤنا بشروطها، وآدابها، وأخلاقياتها، قائمة على الجدل بالتي هي أحسن، وإقناع الآخر بالكلمة الطيبة، وإبانة الحق بهدوء، والحجة الظاهرة كمبدأ عام، ومنهج ثابت لا يقبل الإسلام تعطيله ولا التفريط فيه[1]. لذا دراستنا لتاريخ الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس يعدّ جزءًا من مشروع نظرة إسلامية جديدة للأديان[2]، يسعى لمراجعة الذات في نظرتها للآخر، ونقد النظرات التاريخية، والمعاصرة المتبادلة بين الأديان.

ومن ثمة بناء ذات متجدّدة، ومنفتحة، ومحاورة. فالتواصل مع هذه التجارب مهمّ قصد الاستفادة، والتفكير ضمن إطار أرحب، فلا يمكن اليوم التفكير جديّا في ظل فرضية غياب الآخر[3].

كما يجب الحرص على تأكيد حقيقة أن معرفتنا للآخر ليست مسألة هامشية يمكن نسيانها أو إغفالها، بل هي مسألة مركزية بتناولها نتناول لبّ الدين وجوهره[4]، لذا كانت دراسة تاريخ الفكر الجدلي الإسلامي بالأندلس جزء من هذا المشروع الفكري والإنساني العالمي، ومحاولة جادّة للتذكير بأهمية علم مقارنة الأديان.

2- تاريخ الجدل الديني بالأندلس:

تعدّ مساهمة الأندلسيين في تأصيل، وتعميق الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامي مساهمة مهمة؛ بحيث إذا أخرجنا هذه المساهمة من نسيج التاريخ الثقافي الإسلامي لأحدثنا خروقا يعُزّ سدّها بغير تصانيف علماء الأندلس. وهذا ما يؤكده كثير من علماء الغرب منهم المؤرخ الفرنسي "لوبون" حين قال أن العرب قد غيّروا الأندلس بعد فتحها في بضعة قرون، فجعلوا منها مملكة للعلوم والحضارة. وهذا التغيير شمل الماديات والعقليات والأخلاق على

[1] بركات. **منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص.15.

[2] عدنان المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، مرجع سابق، ص.17-18.

[3] المرجع السابق، ص.17-18.

[4] المرجع السابق، ص.21.

السواء؛ فأرسوا دعائم التسامح الديني في الأندلس التي كان يتعايش في حواضرها كل من المسلمين واليهود والنصارى[1]. بالإضافة إلى إسهاماتهم في كثير من العلوم العقلية والدينية يشهد عليها العلامة بن حزم الذي اعتبر حجة مرجعية في تلك العلوم[2].

لقد كانت الأندلس مع بداية الفتح مهتمة بتوطيد أركان الحكم، واستتباب الأمن الداخلي. وطبيعي في مثل هذه الفترات أن يخفت صوت الجدل الديني، ويمكن أن يضاف لذلك عامل اللغة؛ حيث لم تكن اللغة العربية قد انتشرت بالقدر الكافي بين سكان الأندلس الأصليين[3].

لكن بمجرد انتشار اللغة العربية عكف الأندلسيون على الأدب العربي، على حساب لغتهم الأصلية، وهي اللغة اللاتينية، حتى صار من الضروري ترجمة قوانين الكنيسة الإسبانية القديمة، والإنجيل إلى العربية[4]. وإن كان هذا الموقف لينمّ على حسن نية الأندلسيين في تعلّم اللغة العربية، إلا أن المستشرقين أصحاب النيّات المشكوك في صدقها اعتبروا معرفة اللغات الشرقية وسيلة للتعرف على عقائد، وحضارات الشرق تحقيقا لأهدافهم التنصيرية[5].

ولا ريب أن الجدل الإسلامي لأهل الكتاب له تاريخ يبدأ مع الرسول الكريم ﷺ وصحابته. ومن الطبيعي أن يجد له أرضية خصبة في بلاد الأندلس لتوفُّر المناخ الملائم لذلك؛ فقد عاش على ظهرانيها عناصر وأجناس متباينة، كوّنت المجتمع الأندلسي (مسلمون، يهود، ونصارى)[6]. كما عرفت هذه البلاد نهضة علمية لا نظير لها، وعُدّت قرطبة وسرقسطة،

---

[1] عبد الله بن علي الزيدان وغيره. **الأندلس "قرون من التقلبات والعطاءات"**، قسم5، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، دط، 1417هـ/1996م)، ص.236.

[2] المرجع السابق، ص.237.

[3] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.73.

[4] – محمود حمدي زقزوق. **الاستشراق**، (القاهرة: دار المعارف، دط، 1982م)، ص.24.

[5] المرجع السابق، ص.24.

[6] عبادة كحيلة. **تاريخ النصارى في الأندلس**، مرجع سابق، ص.12.

وطليطلة من أعظم مراكز الدراسات الفلسفية والدينية آنذاك[1]. كما كان للرسل والبعثات التي جرت بين ملوك الغرب، وحكام المسلمين بالأندلس أثرها الكبير في حركة الجدل، والمناظرات الدينية. وفي ظل الازدهار الفكري والحضاري، والتعايش السلمي، والتبادل الثقافي بين الرسالات الإبراهيمية الذي تميّزت به التجربة التاريخية الأندلسية، هذه الظروف سمحت للآخر الديني، ليس فقط أن يعيش في سلام، بل أن يبدع ويعبّر عن هويته الدينية؛ فظهرت نصرانية لاتينية، وأخرى عربية، وثالثة أندلسية، وازدهرت الثقافة اليهودية، والأدب العبري ازدهارا لا تزال آثاره باقية إلى يومنا هذا[2]. إنها نهضة حضارية شملت المجتمع الأندلسي بمختلف مكوّناته، وديانات. وفي ظروف اجتماعية، سياسية، وثقافية مماثلة يطبعها مظهر التسامح والحوار كان من الطبيعي أن يتّجه اهتمام بعض العلماء المسلمين نحو دراسة الديانات التي كانوا على احتكاك بها، وفي المقابل انخرط المسيحيون واليهود مبكرا في عملية التأليف بالعربية، وذلك بعد أن تشبّعوا بالثقافة العربية أيّما تشبّع مقتفين خطى علمائها المسلمين في مجالات علمية مختلفة. من هنا نشأ الجدل الديني في الأندلس، والذي يمكن التعرّف عليه من خلال بحث مظاهره، والفروق بينها في النقاط التالية:

أ. الجدل اليهودي والمسيحي للإسلام:

اهتم المسلمون منذ فتح الأندلس بنشر الإسلام بين أوساط اليهود والنصارى؛ وفعلا لم يتوانى الكثير منهم في اعتناق الدين الجديد، لكن الأمر لم يلق الترحيب من قِبل المتعصبين من أتباع الدينين، على الرغم من عدم تعارضه مع مبدأ "حرية الاعتقاد" فأثار موجة من الغضب أخذت ردّ فعل مزدوج؛ من جانب مورست أصناف من العنف والإرهاب في حقّ معتنقي الإسلام، لدفعهم إلى الارتداد عنه، والعودة إلى دين آبائهم. ومن جانب آخر اهتمام أحبار اليهود، وقساوسة النصارى بالجدل وعدّوه وسيلتهم للدفاع عن عقائدهم[3]، معتمدين

[1] للتوسع انظر: آنخل جونثالث بالنثيا. **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دط، 1955م).

[2] المرجع السابق، ص.22.

[3] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.75.

مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، وأمام تسامح المسلمين، والتزامهم الجدل بالحسنى تجاوز أهل الكتاب الحدّ في تطاولهم على الإسلام. وبرز نوع من الجدل الهابط الذي يهدف للتعرض لشخصية النبي ﷺ بالسّب، والشّتم، والتّجريح، حتى غدا ذلك الافتراء هدفا لدى متعصبي اليهود، والنصارى في الأندلس[1]. ومع هذا الموقف الجماهيري، ومع استمرار الوجود الإسلامي بالأندلس بدأت تظهر شخصيات، ومؤلفات جدلية مسيحية ويهودية لنقد الإسلام، نذكر منها:

* **إسماعيل بن النغريلة:** يعتبر أهم الشخصيات اليهودية الجدلية في القرن الخامس للهجرة الذي كتب في نقد القرآن الكريم.

* **يهودا اللاوي:** وكتابه الخزرى، أو "الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل". وتتلخص قصة الكتاب الخيالية حول ملك الخزر الذي أراد التعرف على الإسلام والنصرانية، وبينما أهمل المسيحية لذلّة أتباعها، لكنه في النهاية رفض الإسلام أيضا استنادا لمقدمات خاطئة مفادها أن الإسلام معجزته القرآن، لكنّه كتب بالعربية، وهي لغة لا يستطيع إلا العارف بها أن يفرق بين القرآن وغيره من كلام العرب لإثبات معجزته. كما يرى أن اقتتال المسلمين والنصارى دليل على فساد أعمالهم، لينتصر في النهاية لليهودية[2].

* **إيلوج المسيحي (851م):** كتب مؤلفا أسماه "ذكرى الشهداء"، اتخذه وسيلة لمقاومة الدعوة الإسلامية[3].

* **توماس الأكويني:** كتب دراسة ضخمة بعنوان "خلاصة ضد الأعاجم"؛ وكان ذلك بناء على طلب سان ريمون دي بينافور، وهو من المتحمسين لنشر النصرانية بين مسلمي الأندلس. وصار هذا الكتاب، وغيره من مؤلفات الأكويني مرجعا مهما في الرّدّ على الأمم الأخرى، ووظفه في البعثات التنصيرية بالأندلس[4].

---

[1] للتوسع انظر: توماس أرنولد. **الدعوة إلى الإسلام**، تر.حسن إبراهيم حسن وغيره، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط2، ص.122.

[2] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.78.

[3] المرجع السابق، ص78.

[4] يوسف كرم. **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، (مصر: دار الكتاب المصري، ط1، 1946م)، ص.170.

* **رايموند لول:** طاف في كثير من البلاد الإسلامية بما فيها الأندلس ليزحزح المسلمين عن عقيدتهم، ويُدخلهم النصرانية. ولتسهيل مهمته أجاد العربية، وألّف كتبا تنصيرية، منها كتاب"الزنديق" والذي صاغه على شكل رواية، إضافة إلى كتاب "عمر العربي"، لكن جهوده في التنصير منيت بالفشل الذريع بعد نصف قرن من العمل المضني[1].

وطبعا أمام هذه الحملة المتكالبة على الإسلام وأتباعه لم يقف علماء الإسلام مكتوفي الأيدي، بل دافعوا عن دينهم، ونقدوا تلك الأديان، وسنرى البون شاسعا بين موقفهم، وموقف اليهود والنصارى.

ب. جدل المسلمين لأهل الكتاب:

قام مسلمو الأندلس بجهود جبّارة للتعرف على عقائد أهل الكتاب. والملاحظ أن جدلهم الديني قد أخذ صورا أربع نذكرها بالتفصيل كالآتي:

– نقد النصرانية أثناء الرد على الشعوبية[2]: وقد كان هذا النقد أثناء ردّ المسلمين على الحركة الشعوبية. ومن أشهر المناظرات الشعوبية، تلك التي كان ينظّمها ابن غرسية (وهو من أبناء نصارى البشكنس). وقد تصدّى للرّد عليه وعلى عقيدته في التثليث ابن البلنسي، وأبي الطيب عبد المنعم القروي (ت493هـ)[3].

– المناظرات الدينية: ومن أمثلة تلك المناظرات ما قام به "أوتون"؛ وهو ملك جرمانيا في القرن الرابع الذي عمد إلى اختيار عالم لاهوتي يعتمد عليه في المناقشة الدينية للمسلمين، ثم بعثه إلى قرطبة، وقد وقع اختياره على الراهب "جان"، من دير جورز، عُرف عنه تمكّنه في اللاهوت. وقد حاول هذا الراهب في الأخير إقناع الخليفة الناصر الأموي باعتناق المسيحية[4].

---

[1] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.82-83.

[2] للتوسع حول الحروب الصليبية انظر: قاسم عبده قاسم. **ماهية الحروب الصليبية**، (الكويت: عالم المعرفة، 1990م).

[3] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.84-86.

[4] المرجع السابق، ص.93-97.

– **جدل الموركسيين**[1]: فبعد سقوط غرناطة آخر ممالك المسلمين بالأندلس في الحروب الصليبية عام897هـ/1492م[2] بدأت رحلة عذاب الموركسيين أو"المسلمين المنصرين"، أين تآزر عليهم السيف والقلم في محاولة إرهابية لتنصيرهم، بعد أن مورس عليهم أبشع صور الاضطهاد الديني[3].

ومن تلك المؤلفات النصرانية التي تناولت الإسلام بالتشويه، وتمحورت معظمها حول القرآن الكريم، ونبيّنا ﷺ، نذكر منها: "ضد القرآن" لبرناردو بيريث دي سنسون، وكتاب آخر بعنوان: "ذمّ القرآن" لأحد الآباء الدومينيكان، وآخر "شعلة العقيدة في مواجهة القرآن والعقيدة الإسلامية"[4]. لكن ظل الموركسيون متمسكين بعقيدتهم، محافظين على هويتهم الدينية[5]. بل الأكثر من ذلك، كان لهم دور بارز في الدفاع عن الإسلام من خلال ما ألّفوه من كتب جدلية تميّزت بخاصيتين: الدفاع عن الإسلام ضد افتراءات النصارى والحفاظ على الهوية الإسلامية ضد موجات التنصير، ونقض العقائد الدينية النصرانية[6].

– **مؤلفات جدلية إسلامية**: ومن أهم المصنّفات الجدلية الأندلسية في هذا المجال، يقابلنا ابتداء من القرن الخامس الهجري مؤلفات ذات منهج متكامل في النقد الديني لعقائد اليهود والنصارى. أهمها:

• **أبو الوليد الباجي (ت474هـ)**: وكانت مساهمته في علم مقارنة الأديان من خلال ردّه على رسالة راهب فرنسي أراد أن يراود حاكم سرقسطة عن دينه، ليرتد إلى المسيحية. وأمام إلحاح هذا الراهب ومحاولاته التنصيرية كتب أبو الوليد ردّا على هذه الرسالة التي تحوي محالات العقول التي لا تقنع عوام المسلمين[7]. وكان ردّه التالي:

---

[1] أنطونيو دومينقير. **تاريخ مسلمي الأندلس**، مرجع سابق، ص..3.

[2] يوسف كرم. **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مرجع سابق، ص.170.

[3] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.97.

[4] عبد الله جمال الدين. **المسلمون المنصرون أو المورسكيون**، (دب: دار الصحوة، ط1، 1991م)، ص.359-360.

[5] أنطونيو دومينقير. **تاريخ مسلمي الأندلس**، مرجع سابق، ص.3.

[6] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.93-97.

[7] المرجع السابق، ص87.

«ولما تكرّرت علينا رسائلك، ووسائلك تعيّنت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك، ومعرضتك [هكذا] فيما اخترناه من منهجك في النصح الذي يجري إليه الفضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل، وكففنا عن معارضتك ما استقبحناه من خطابك، وسخطناه من كتابك، وسبّ الرسل الكرام والأنبياء العظام عليهم السلام»[1]. ورغم منهج الباجي الذي يقوم على الاختصار، إلا أن ردوده حملت دراسة علمية لنفسية المجادلين النصارى، من خلال محاولته الكشف عن أسباب تمسّك الراهب بمسيحيته رغم منافاتها لمقتضيات العقل السليم.

- **أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 482هـ)**: له مؤلفات عديدة في مختلف صنوف المعرفة، كما كانت له إسهامات في الجدل الديني بالأندلس[2]، من خلال كتابين هما: "مقام المدرك في إفحام المشرك"، و"مقامع هامات الصلبان، ورواتع رياض أهل الإيمان"[3].
- **القرطبي (ت671هـ/1273م)**: ألّف القرطبي؛ وهو المفسر المعروف كتابا مهما أيضا في علم مقارنة الأديان بعنوان "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، وإثبات نبوة نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام"، وجاء كردّ على رسالة من رسائل نصارى طليطلة. ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في علم مقارنة الأديان لموسوعيته، وكبر حجمه، وتناوله لكثير من موضوعات الخلاف العقدي بين الإسلام والنصرانية. كما له أهمية تأريخية؛ لأنه ذكر بعضا من الكتابات النصرانية، والتي تولى الردّ عليها، منها ردّه على القس القوطي، والنصراني حفص بن البرّ[4].

ومن أهم القضايا التي تناولها القرطبي في كتابه الإعلام:

- إبطال مذاهب النصارى في الأقانيم.
- إبطال مذاهب النصارى في الاتحاد والحلول.

---

[1] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص87-88.

[2] المرجع السابق، ص59.

[3] رمضان، يوسف محمد خير الزركلي. **تتمة الأعلام** ،ج1، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م/1422هـ)، ص150.

[4] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص89.

- إثبات تحريف التوراة والإنجيل.
- إثبات نبوّة سيدنا محمد ﷺ.
- نقد الشعائر النصرانية.
- إثبات محاسن الإسلام[1].

• **ابن رشد (ت595هـ)**: تعرض أيضا في ثنايا مؤلفاته، ومنها كتابه "مناهج الأدلة في عقائد الملّة" لنقد عقيدة التثليث النصرانية، كما استنكر عليهم ادعاءهم أن لله تعالى ابن، أو قولهم بتعدّد الآلهة[2].

• **ابن حزم الأندلسي[3](ت456هـ-1064م)**: ويعدّ رائد علم مقارنة الأديان، نظرا للدور الذي لعبته مصنّفاته في تأسيس هذا العلم. وكان أكثر مفكري الأندلس عطاء[4]. كان سيّال القلم، كثير التأليف؛ حيث كتب في العديد من فروع العلم، لا يتّسع بحثنا لتعدادها، لأنه يركّز على جهوده في مقارنة الأديان، والذي نال النصيب الأوفر من كتاباته، والتي كان خلاصتها كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و"الرد على ابن النغريلّة اليهودي"، وكتاب "الأصول والفروع" الذي تعرض فيه بن حزم لدراسة بعض الملل، ونقدها[5]. وكتاب "إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل". هذا الأخير يعدّ جزء من كتاب "الفصل"[6].

---

[1] المرجع السابق، ص89 وما بعدها..

[2] أبو الوليد ابن ر.شد. **مناهج الأدلة في عقائد الملّة**، تقديم وتحقيق: محمود القاسم، (مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، د.ط، 1969م)، ص166 وما بعدها.

[3] للتوسع حول حياة وسيرة ابن حزم انظر: السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص37 وما بعدها. المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، مرجع سابق، ص. 27 وما بعدها. والشرقاوي. **منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، مرجع سابق، ص5 وما بعدها.

[4] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.9 وما بعدها.

[5] المرجع السابق، ص.29-36.

[6] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.36.

يُعد كتاب "الفصل" بما يحويه من نقد علمي للتوراة والأناجيل أوّل دراسة نقدية للكتاب المقدس سبقت بأمد طويل أعمال باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza)، وفلهاوزن (Welhausen) وغيرهما. بل لا يُستبعد أن يكون اسبينوزا نفسه قد تأثر في نقده للتوراة بابن حزم[1]. ويحتل هذا الكتاب هذه الأهمية الخاصة لعدّة اعتبارات من بينها: انفتاح بن حزم على الآخر لمساءلته، ومحاورته، والتواصل معه، ومقدرته الفذّة على الجدال والمناظرة[2]، برغم ما عُرف عن أسلوبه الجدلي من غلظة اتّسم بها[3] لها ما يبررها من تطاول أهل الكتاب على المسلمين بالأندلس وخيانتهم العهد[4]. وهي خطوة جريئة إذا ما نظرنا إليها في ضوء مقاييس ذلك العصر. ويضاف إلى ذلك تطلّعه للمقارنة بين الإسلام وغيره من الديانات، ولاسيما المسيحية واليهودية، لإبانة الحق وإظهاره، كل ذلك مكّنه من الانتقال في دراسة الأديان من مستوى الوصف إلى مستوى أعمق ألا وهو مستوى النقد الصريح للتوراة ولأسفار العهدين القديم والجديد، هذا الأمر الذي يحسب له.

لقد اهتدى ابن حزم لمنهجين لنقد الأديان؛ الأول منهج عقلي خاطب به غير المسلمين، وآخر عقلي نقلي خاطب به المسلمين[5]. أما النقلة النوعية التي حقّقها ابن حزم كونه ناقدا جدليا من الغرب الإسلامي، ليست في نقده الكلامي للعقائد، بل في نقده للنصوص الدينية النصرانية، واليهودية، في حين ظل النقد النصي هامشيا إلى حدّ ما لدى المتكلمين المشارقة.

---

[1] قراءة في كتاب نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي: http://www.eiiit.org

[2] الزيدان. **الأندلس"قرون من التقلبات والعطاءات"**، مرجع سابق، ص.238..

[3] السيوطي. **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس**، مرجع سابق، ص.22.

[4] المرجع السابق، ص.22.

[5] الزيدان. **الأندلس"قرون من التقلبات والعطاءات**، مرجع سابق، ص.233.

ومن هنا تبرز الأهمية التاريخية لابن حزم التي تتجاوز الإطار الإسلامي إلى الإطار العالمي بتأثيره في تطوّر الدراسات الكتابية الحديثة[1]. درس ابن حزم الأسفار الخمسة دراسة وثائقية، وحلّلها تحليلا نقديا منهجيا مستخدما عملية استقراء تاريخي دقيق، استهدف به فحص الظروف العامة، والملابسات الخاصة التي أحاطت بكتابة هذه الأسفار الخمسة، وحفظها، ونقلها. ثم درس نص هذه الأسفار دراسة نقدية، ليعرف واقع هذا المتن في حدّ ذاته ليصل إلى الحكم على هذا النص. من هنا يظهر أن منهجه التحليلي شمل النقد الخارجي، أو بحث السند أو الرواية، و النقد الداخلي، أو فحص متن النص؛ أي المحتوى[2]. وقد توصل باعتماده هذا المنهج إلى نتائج مبهرة، تؤكد تحريف التوراة الحالية، وعدم نسبتها إلى نبي الله موسى – عليه السلام– وأن كاتبها الحقيق هو عزرا الوراق. لذا اعتبر بحق من أكابر علماء مقارنة الأديان[3]. وعلى الرغم من أنه لم يكن على دراية باللغة العبرية، ولا بأي لغة من اللغات السامية التي كانت معروفة في عهده[4]،كما لم يُدرك ميلاد الكثير من التخصصات العلمية التي ظهرت في القرون الأخيرة، ولم يكن على علم بالتحوّلات الكبرى التي ستعرفها تخصصات علمية أخرى.

وبعبارة أخرى، إن الخلفية الفكرية، والثقافية، والسياسية التي أحاطت بتأليف "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لا تماثل لا من قريب ولا من بعد ظروف نشأة علم مقارنة الأديان، والدراسات الكتابية في أوروبا، إلا أن المنهجين التاريخي والفيلولوجي اللّذين اتبعهما في نقده لنصوص التوراة، والنتائج التي انتهى إليها بشأن صحة هذه النصوص تجعل منه مؤسسا حقيقيا لعلم مقارنة الأديان، ورائدا في علم نقد التوراة. ولا يبالغ أحمد شحلان حينما يؤكد أن ابن حزم «استخدم في نقده هذا أفضل المناهج الفيلولوجية، وأدق مناهج المقارنات النصية المبنية على المنطق، والحساب كما نعرفها اليوم. وكثير من المراجع الحديثة

[1] المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، مرجع سابق، ص.23-24.

[2] الشرقاوي. **نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، مرجع سابق، ص.19.

[3] المرجع السابق، ص.37.

[4] المقراني. **نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي**، مرجع سابق، ص.219.

التي اعتمدناها، والتي أرخت لبني إسرائيل، وتناولت كتاب العهد القديم بالنظر، اتبعت منهج ابن حزم دون أن تشير إلى ذلك، بل الأصح أن نقول دون أن تدري بذلك؛ وذلك لأن مرجعها الأساس كان سبينوزا الذي وإن لم يشر إلى ابن حزم مباشرة ضمن مصادره»[1].

وفي الأخير نقول إن دراسة فكر ابن حزم الأندلسي النقدي للعهد القديم برهان حيّ وتأكيد ينفي ما صرّح به حسن حنفي في مقدمة ترجمته لرسالة اسبينوزا عندما اعتبر منهج النقد التاريخي للكتاب المقدس منهج غربي فقال: «يعتبر النقد التاريخي للكتاب المقدس، أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، كما يُعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوروبية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل»[2]. وقد ردّ على هذا الكلام محمد عبد الله الشرقاوي قائلا: «النقد التاريخي للكتاب المقدس لم يكن وليد الفلسفة الحديثة بحال، وليس من أهم مكاسب الحضارة الغربية، وليس وليد القرن السابع عشر الميلادي؛ بل هو وليد الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي، وابن حزم مثلا سابق للقرن السابع عشر، والفلسفة الحديثة بستة قرون أو أكثر، وإنّ حركة نقد الكتاب المقدس قد تأثر فلاسفتها، وأعلامها بالفكر الإسلامي، واستمدوا منه بشكل مباشر، وغير مباشر[...] وأما قوانين ضبط صحة الرواية، والإسناد فأبوّتها الشرعية في الفكر الإسلامي، وهذا الجانب تتفرّد به الحضارة الإسلامية، ولا نعرف له في الحضارات الأخرى شبيها»[3].

3- أهمية الجدل الديني بالأندلس:

الإسلام خاتم الرسالات السماوية، جاء مصدقا لما في هذه الرسالات من وحي، ومصحّحا لما حدث في هذه الكتب السماوية المنزلة من تحريف، وتغيير، وتبديل. ومن الطبيعي أن يُحدث هذا الموقف العقائدي جدلا دينيا، يمكن أن تتّضح أهميته في النقاط التالية:

---

[1] الشرقاوي. **نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، مرجع سابق، ص.10.

[2] باروخ اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمة: وتقديم: حسن حنفي، (بيروت: دار الطليعة، ط4، 1997م)، ص.18.

[3] الشرقاوي. **نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، مرجع سابق، ص.46.

– إن للجدل الديني الذي عكف عليه علماؤنا لنحْتِه، وصياغة مبادئه بالغ الأثر والأهمية في الانفتاح على الشعوب، والأمم الأخرى؛ حيث ظل جسرا للتواصل بين الشرق والغرب.

– تتجلى أهميته أيضا في توضيح الدور الذي لعبه في الدعوة إلى الإسلام. هذه الدعوة التي تعتمد مبدأها القرآني: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل، 125]. أساسا لها في هذه الدعوة العالمية التي لا تخص أمة دون أخرى. لكن كان اليهود والنصارى أكثر الأمم خصوصية في دعوتهم للإسلام باعتبارهم أصحاب رسالة سماوية. ومن هنا تبرز أهمية جدل المسلمين لهؤلاء القوم، ولكتبهم المقدسة.

– دراستنا للجدل الإسلامي لأهل الكتاب عبر تاريخه الطويل في الأندلس يعكس روح التسامح الديني الذي كفله الإسلام لغيره من المسلمين، وهم أهل الذمة؛ إذ يعطيهم حق ممارسة حقوقهم الدينية بكل حرية، بل منحهم حق الدفاع عن عقائدهم، بنقد العقائد الأخرى والرّد عليها. تلك الحرية التي لا، ولن تجد لها مثيلا عبر التاريخ الإنساني، وهي حرية ملتزمة بآداب الجدل الموضوعي مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[العنكبوت، 46].

– كما أن الإحاطة بالجدل الإسلامي لليهود والنصارى في الأندلس تكشف عن البراعة المنطقية لعلماء الإسلام في الدفاع عن دينهم، وردّ مطاعن أعدائه وعن هذا الدور يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم، ولا حصّل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[1].

[1] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. **درء تعارض العقل والنقل**، ج1، تحقيق: محمد رشاد سالم، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، دط، دت)، ص.357.

– دراسة هذا الجدل الديني تبرز أهمية الحرية التي أعطاها المسلمون لليهود والنصارى على السواء في الأندلس، حتى أنهم ألّفوا في الطعن في الإسلام، وجادلوا المسلمين، فافتروا على الإسلام، ونبي الإسلام. أما معاملة المسلمين لأهل الكتاب بلغت قمة التسامح، حين سمحوا لأساقفة المسيحية عقد مؤتمراتهم الدينية؛ كمؤتمر قرطبة الذي عقد سنة852م. كما تعدّ كنائس النصارى المنتشرة أيام الحكم الإسلامي الأندلسي خير دليل على احترام المسلمين لمعتقدات الأمم الأخرى التي كانت خاضعة لسلطانهم. لكن ما لاقاه المسلمون مقابل تسامحهم هذا كان أمرا شنيعا، فما كاد حكم المسلمين يضعف حتى انقلب اليهود عليهم، وعظّوا اليد التي أطعمتهم، وصاروا عملاء للنصارى. أما من الجانب المسيحي، فلم يختلف الأمر كثيرا؛ فقد مارسوا على المسلمين أقسى أنواع الاضطهاد، والتعذيب، وانتشرت عمليات التنصير على نطاق واسع وبشكل قسري.

– دراسة جدل المسلمين لأهل الكتاب بالأندلس تكشف عن الدور الجليل الذي لعبه علماء الأندلس، ونخص بالذكر بن حزم باعتباره رائد علم مقارنة الأديان، الذي يوعز إليه دور تأسيس، وإيجاد علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي.

الخاتمة:

انتهى البحث إلى جملة نتائج نلخصها في النقاط التالية:

-إن للجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس دورا بارزا في ظهور علم إسلامي جديد هو: علم مقارنة الأديان. ودليلنا على ذلك أن هذا العلم تبلور في بيئة إسلامية(الأندلس)؛ إذ تعدّ هذه البلاد ملتقى الأديان، والحضارات، وهذا التنوع سمح بتلاقح الأفكار، وبالتالي ميلاد كثير من العلوم على رأسها(علم مقارنة الأديان). كما ظهر هذا العلم بتأثير مباشر من القرآن الكريم الذي دعا صراحة إلى مجادلة أهل الكتاب، ومعاملتهم بالحسنى، وهذا أمر لم نجد له دليل في كتب اليهود والنصارى. وعلى إثر هذه الدعوة القرآنية قدّم علماء الإسلام كنوزا أثرت المكتبة العالمية، ومنهلا نهل منه علماء الإسلام، وعلماء الغرب على السواء، وأثبت بالدليل القاطع أصالة هذا العلم.

– علم مقارنة الأديان علم لم يعرفه الغرب إلا وهم متأثرون بعلماء الإسلام، وهذا أكبر دليل على الأسبقية التاريخية للمسلمين في البحث الديني المقارن.

– يعدّ ابن حزم الأندلسي من رواد علم مقارنة الأديان، بل يعد أوّل مؤسس لعلم نقد الأديان باعتراف علماء الغرب، ومن الأوائل الذين كتبوا مصنفات فيه، ووضعوا أسسه. وبذلك يعد دليلا حيّا أيضا على أن علم مقارنة الأديان ذو أبوّة إسلامية.

وعليه: كل ما سبق يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن العقل المسلم عقل خلاق ومبدع، نزّاع إلى السبق في خوض غمار البحث، والابتكار، وعلم مقارنة الأديان دليلنا على ذلك.

المصادر والمراجع:

***- الكتب:**

01- أنطونيو دومينقير هورتز، وبرنارد بنشنت، تاريخ مسلمي الأندلس (الموريسيكيون)، ترجمة: عبد العال صالح طه، ط.1، قطر، دار الإشراق، 1408ه/1988م.

02- بالنثيا آنخل جونثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1955م.

03- بركات محمد مراد، منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي، ط.1، القاهرة، الصدر لخدمات النشر، ط1، 1990م.

04- تركي محمد، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ط.1، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002م.

05- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وغيره، ط.2، مصر، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت.)

06- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ج1، تحقيق: محمد رشاد سالم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (د.ت.)

07- جمال الدين عبد الله، المسلمون المنصرون أو المورسكيون، ط.1، دم.، دار الصحوة، 1991م.

08- الجويني أبو المعالي، الكافية في الجدل، تقديم: دفوقية حسين محمود، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1399ه/1979م

09- جنيبر شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، (د.ت.)

10- بن حزم علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، ج2، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405ه.

11- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413ه.

12- دراز محمد، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الكويت، دار القلم، 1980م

13- ابن رشد أبو الوليد، مناهج الأدلة في عقائد الملّة، تقديم وتحقيق: محمود القاسم، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، 1969م

14- الزركلي، يوسف محمد خير، تتمة الأعلام، ج1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م-1422ه

15- زقزوق محمود حمدي، الاستشراق، القاهرة، دار المعارف، 1982م

16- أبو زهرة محمد.، تاريخ الجدل، ط.2، الكويت، دار الفكر العربي، 1980م

17- الزيدان عبد الله بن علي وغيره، الأندلس "قرون من التقلبات والعطاءات، قسم5، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1417ه/1996م

18- السايح أحمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان، الدوحة، دار الثقافة، (د.ت.)

19- السيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت.)

20- الشرقاوي محمد عبد الله، منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا، د.م.، القاهرة، (د.ت.)

21- شلبي أحمد، مقارنة الأديان(اليهودية)، ط.8، القاهرة، مكتبة النهضة، 1988م.

22- الأصبهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، اسطنبول، دار قهرمان، 1986م

23- ظهير علي، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها،مصر، المكتبة العلمية، 1947م.

24- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط.2، الرياض، دار الرشد، 1424هـ-2003م.

25- بن فارس أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

26- قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة، 1990م.

27- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط.1، مصر، دار الكتاب المصري، 1946م.

28- كحيلة عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، القاهرة، د.ن، 1414هـ-1993م.

29- المقراني عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، ط.1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1429هـ-2008م.

30- الهواري محمد، الجدل اليهودي ضد المسيحية، القاهرة، دار الزهراء للنشر، 1415هـ/1993م.

*- **الرسائل والأطروحات:**

31- بوعافية ليندة، "منهج الفاروقي في دراسة اليهودية"،رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2010م

32- فرحات عبد الحكيم، "منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م.

*- **المجلات:**

33- بخوش عبد القادر، "علم مقارنة الأديان بين التأصيل والترغيب"، **مجلة الإحياء**، ع.11، 1428هـ-2007م.

34- شايب لخضر، "مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة"، **مجلة الإحياء**، ع.1، 1419هـ-1998م

35- فرحات عبد الحكيم، "أسس المنهج الإسلامي في دراسة الأديان"، **مجلة الإحياء**، ع.2، 2001م

36- كردوسي بشير، "نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر"، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993م.

***- الشبكة العنكبوتية:**

37- قراءة في كتاب نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي: http://www.eiiit.org

38- تعريف علم مقارنة الأديان. www.Almoqatel.org